فى ربوع أمريكا الجنوبية

للأستاذ الرحالة محمد ثابت

عبر الأنديز الرائعة :

لقد كان من أحلامى التى خلتها منذ أمد بعيد خيالاً بعيد المنال ، أن أعبر جبال الأنديز وأمتع النظر بمشهد (أكونكاجوا) ثانية ذرى العالم علواً ، وكانت تعاودنى تلك الأمنية سنة بعد أخرى ، حتى شاءت القادير فحققت لى ذاك الأمل فى الصيف الماضى ، وكم كثرت الأراجيف وأنا على ظهر الباخرة إلى « الأرجنتين » بأن الطريق ممطل ولن يمكن عبوره اليوم ، وما كدت أصل بونس إيرس حتى قصدت على الفور داراً للسياحة مستعلماً ، فقيل لى إن الطريق ممطل على أثر السيول والثلوج التى اجتاحت منه اثنى عشر ميلاً بقطرها ومحاطها وقناطرها ، ولن يمكن عبوره فى ذاك الجزء إلا على متون البغال الممضة وسط الثلوج الرهيبة مدى أسبوع ، فأخذتنى الدهشة ، وكاد يتطرق اليأس إلىّ ، لكنى عدت فاعتزمت القيام بتلك التجربة حتى لا أحرم رؤية مجاهل الأنديز الرهيبة ، وبعد لأى ما قبلت شركة السياحة أن تبيعنى التذكرة ، وقد اشترطت ألا تتحمل أية مسئولية إذا حدث لى حادث فى الطريق ، وكم سرح الخيال فى تلك المجاهل بقية يوم السبت وطيلة الأحد ، فكان تارة يبدو الأمر قاتماً مخيفاً ، وطوراً يضيء الأمل فتبدو الرحلة ناجحة شائقة . قصدت دار الشركة صباح الاثنين لأتسلم التذكرة ، وما كاد يرانى الرجل حتى صاح باسما أن قد فتح الطريق لأول مرة ، وأنى سأعبر المنطقة المنهارة على السيارات المريحة بدل البغال المخطرة ، وذاك أول يوم يستأنف فيه السفر المأمون بعد أكثر من نصف عام ، ومن العجيب أنى لم أقابل ذاك النبأ بما يستحقه من الفرح والبهجة إذ كانت النفس تطمح إلى ركوب البغال وسط الثلوج فتكون مخاطرة جديرة بالتجربة . ابتعت التذكرة إلى سانتياجو ودفعت زهاء ستة عشر جنيهاً مصرياً ثمناً لها

قمنا فى الساعة السابعة صباحاً بالسيارة نبرح مندوزا صوب جبال الأنديز وما كدنا نغادر جوانب البلدة حتى أوغلنا فى سهول شبه صحراوية ، يكسوها الحصى وتتخللها أعشاب وشجيرات قصيرة شائكة يابسة ، وكانت تقوم جبال الأنديز أمامنا فى صفحة قاتمة منفرة عريت من النبت ، ولبثنا نسير صعداً على ليات أحد وديانها الغائرة الجافة حتى فاجأنا شبه سهل فى وسط الجبال ، به بعض الزرع والشجر الأخضر فبدا كأنه الواحة وسط الصحراء وتلك محطة (أُسپَايَّاتَا Uspallata) وهنا بدت الجبال العاتية تكسوها الثلوج المشرقة يسيل ماؤها فى واد ضيق ، جوانبه مشرفة عاتية مجدبة ، ويجرى فى أسفله ماء شحيح — وهو نهر مندوزا — وهذا ممر أسپاياتا الذى سلكه الانسان منذ حل أمريكا فى العصور البائدة مخترقاً به تلك الجبال ، ولما جاء الأسبان اتخذوه طريقهم على متون البغال ثلاثة قرون ، حتى أقيمت سكة الحديد ، وقد شاهدنا قنطرة صغيرة مجدبة من عمل الهنود الحمر قديماً ولا يزال يسميه القوم (Camina de Los Aues أى طريق الأنديز) بعد ذلك أخذت السيارة تصعد فى منعطفات وعرة دونها هوى سحيقة وأمامها نجاد شاهقة تجللها الثلوج الناصعة فى مشهد يأخذ بالألباب ، وكثيراً ما كنا نلمح على بعد جواداً كو يسرع بالهروب بمجرد إحساسه بنا وهو كاللاما من فصيلة الجمل ، وبعد مسيرة ست ساعات بسياراتنا وصلنا محطة : لاس قاكاس : وكنا نشاهد فلول القطبان والقناطر مهشمة أيما تهشيم

وقفنا ننتظر القطار والريح عاصفة والبرد قارس زمهرير ، وكنا نرى على بعد قمة Tupungato بهامتها المدببة البيضاء وهى من أعلى ذرى الأنديز إذ يبلغ علوها ٢٢١٣٦ قدماً

أقبل القطار وكان مقدمه مغطى بالثلوج كأنه يحمل وسقاً من الجليد الناصع ، وحللت مكانى من الدرجة الأولى وهى تقارب الدرجة الثانية عندنا ، وليس بالقطار سوى درجتين ، وكان قد أمضنى الجوع إذ كانت الساعة الثانية بعد الظهر فلجأت فوراً إلى عربة الطعام وتناولت الغداء الشهى الجيد ، وكان ثمنه زهيداً لا يجاوز ثمانية قروش ، وذلك من أثر الرخص الذى كنا نسمع عنه فى بلاد شيلى . وفى منتصف الطعام فاجأنا منظر غريب : مجموعة من أسنان الصخر بعضها فوق بعض تتوجها صخرة كبيرة حاكت الدير على بعد ، والأسنان شابهت الرهبان الصاعدين إليه ،

قطار الأنديز وسط الثلوج

ومن ثم أطلق عليها القوم اسم Penitentes ثم وقف بنا القطار فى محطة (بونتادل أنكاس) ومعناها جسر الأنكا ، فنزلنا سراعاً نحو الجسر العجيب ، فاذا به صخرة متصلة بالجوانب، تحتها وادفسيح يجرى به ماء ، بعضه مستمد من عيون حارة عظيمة النفع فى الاستشفاء ، والجسر طبيعى عظيم الاتساع ، يمكن ثلاث عربات متجاورة من المرور ، فعرضه تسعون قدماً وعلوه ٦٥ وسمكه ٧٠ وقفاً عرف منذ القرن الخامس عشر وأحيط بالخرافات وأنه مقر الأبالسة فى عرف الهنود الحمر ، وأطلق عليه اسم أحد قواد الأنكا توباك توبا كوى (Tupac Tupaqui) وقد وقفنا بعد قيام القطار نترقب قمة (أكونكا جوا) أعلى ذرى الدنيا الجديدة (٢٣٣٠٠ قدم) وأول ما تسنم الانسان هامتها فى ١٤ يناير سنة ١٨٩٧ ظهرت تشمخ باسقة فى السماء ومن حولها جمهرة من الذرى الأخرى يجللها جميعاً بياض الثلج الناصع ، وبين فترة وأخرى كان يحلق فوق رءوسنا طائر الرخ الهائل ملك المرتفعات وأقدر الحيوان على احتمال عصف الريح وقر البرد ، وكان الثلج يسود الأرجاء كلها ، اللهم إلا فى بعض الشجيرات القصيرة ونبات الصبار (الكاكتاس) فى شكله العجيب وكأنه اسطوانات تقوم متجاورة ، ويكسوها زغب من شوك طويل ، وكنا كلما تقدمنا زادت كثافة الثلج حتى أن القطار كان يجرى بين جدران خانق من الجليد الناصع كاد يغطى العربات إلى نصف ارتفاعها . وفى محطة : (لاس خويثاس) دخل القطار ظلة أقيمت من الحديد المجزع تفادياً من ثقل الثلج ، وهنا تعددت الربى ، فكانت كأنها الهامات الشم جللها الشيب الناصع ، ومن ألسنة جليدها كان يسيل لعابها فى زرقة مستملحة يزينها زبد أبيض ، وكم تكاثر الثلج على أسلاك غلاظ وصفائح قاسية فقوضها ، وأنت ترى بقع الثلج الأبيض كندوف القطن تملأ التجاويف الواحدة تحت الأخرى ، والماء يسيل من هذه فتهوى فى جنادل وشلالات الى الأخرى فيذيبها ، وقد يجمد بعض الماء الهاوى فيظهر فى زوائد وأسنان بلورية ، وفى الهوى الغائرة يتجمع الماء ويجرى فى واد ضيق ، وفى كثير من البقاع كان يقام للقطار نفق من حديد مخافة تكاثر الثلج ، وفى هذا الجزء كان القطار يسير على ثلاثة قضبان ، الأوسط منها مسنن لكى تشتبك به تروسه خشية وعورة المنحدر .

دخل بنا القطار نفقاً طوله ميلان تقريباً ، ومن غريب المصادفات أن ارتفاعه عن سطح البحر ميلان أيضاً ، وهو أعلى جهات سكة الحديد ، فهى هنا ١٠٥١٢ قدماً فوق سطح البحر وفى وسط النفق الحد الفاصل بين الأرجنتين وشيلى ، وبمجرد عبور القطار بنا هذا الحد داخل النفق، سمعنا صليل أجراس تدق من تلقاء نفسها عندما يضغط القطار على أسلاكها وذلك إيذاناً بتخطى الحدود . ولما أن خرج القطار من النفق الى ضوء الشمس أشار القوم أنها هو (الكريستو) الى يميننا ، وهو تمثال هائل للمسيح أقيم فى سنة ١٩٠٤ حينما احتكم الخصمان فى مشكلة الحدود الى ملك انجلترا ادوارد السابع ، والذى توسط فى حسم النزاع وعرضه للتحكيم نساء الفريقين وقساوستهم

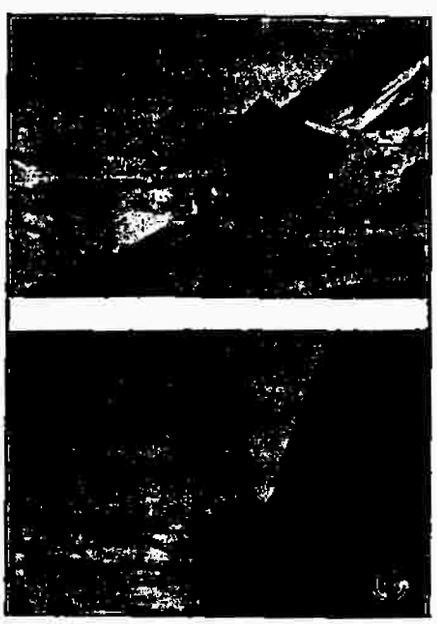

نجاز نفق الحدود بين أرجنتينا وشيلى

على أن تنفق نقود الحرب فى تحسين الطرق على الأنديز ، وبجزء من ذلك المال أقيمت سكة الحديد . ثم اكتتبوا لهذا التمثال ، وقضى ملك الانجليز بجعل الحد عند تقسيم المياه بين الدولتين ، وهى هنا على علو ١٢٨٠٠ قدم ، والتمثال من البرنز القاتم صيغ من بعض المدافع الحربية القديمة التى أخذوها من الأسبان فى حرب الاستقلال رمزا للسلم وتحطيم أدوات الحرب ، ويقوم على قاعدة من جرانيت وعلوه ٢٦ قدماً ، وقد نقش على قاعدة التمثال ، وتحت أقدام المسيح ما معناه :

«لقد أقسم رجال الأمتين بين يدى المسيح ألا ينقض عهد السلام بينهما ، حتى ولو دكت تلك الجبال فصارت هباء» . على أن التمثال كادت تكسوه الثلوج فتخفيه . أخذنا فى الانخفاض من منحدر وعر ، ما كان القطار ليستطيعه لولا القضبان المسننة ، ومن دوننا وادى أكونكاجوا الغائر ، وبين محطتى كاراكولس و پورتيليو ، فاجأتنا مجاميع الربى فى تعقيد رهيب تتوسطها بحيرة الانكا على علو ٩٠٠٠ قدم ، ويقولون بأن ماءها ثابت المقدار لا يزيد ولا ينقص طيلة العام ، وذلك ما زاد قدسيتها عند الهنود ! ولن يستطيع قلم مهما أوتى من البيان والافصاح أن يعرب عما يحسه المسافر من رهبة وجلال تتمثل فى عظمتهما القدرة الآلهية التى تزرى بكل شىء ، وما الوصف بمجد شيئاً ، فلن يأخذ القارئ من قولى إلا قبساً ضئيلاً ، وعليه إذا أراد الوقوف على شىء منها أن يمتع نظره بمرآها كى يحس بما أحسست . ويقولون إن أجمل ما ترى مناظر الصخور وأروعها فى العالم بين تينك المحطتين . أخذنا نمر بالمحاط الشيلية ، وكلما هبطنا ندر الثلج وزادت القرى وتعددت المسايل المائية ، وقد بدا هذا الجانب من الجبال أغنى بعناصر الحياة بين إنسان وحيوان ونبت وشجر من الجانب الشرقى ، لأن رياح الباسفيك تدر عليه من بللها ماءً وفيراً على نقيض الجانب الآخر الشرقى . ومن الأنهار التى استرعت نظرنا (الريو بلانكو) أو النهر الأبيض ، وسمى كذلك لكثرة ما يعترض ماءه من صخور برغى فوقها فيبدو أبيض ناصعاً . ثم وقفنا طويلاً فى محطة (Los Andes) وعندها غيرنا القطار الضيق الى آخر . ثم خيم المساء فحرمنا بقية الاستمتاع بجمال الطبيعة بين هذه وسانتياجو ، ولقد غيرنا القطار مرة أخرى فى محطة (لاى لاى) وهنا يُرى أول قبس من مياه المحيط الهادى الى يمين المسافر

وفى منتصف الثانية عشرة مساء دخلنا سانتياجو بعد مسيرة زهاء سبع عشرة ساعة من مندوزا أو سبع وثلاثين ساعة من بونس إيرس ، وكان مقدراً لعبور القارة كلها من بونس إيرس الى سانتياجو ثلاثون ساعة بالقطار مسافة قدرها ٨٨٨ ميلاً أو تزيد

محمد ثابت

لجنة التأليف والترجمة والنشر

السلسلة الفلسفية

اعتزمت لجنة التأليف والترجمة والنشر اخراج سلسلة فلسفية تقدم للقراء تاريخ الفلسفة فى مختلف عصورها من فلسفة يونانية واسلامية وحديثة ، كما تقدم لهم خلاصة للمذاهب الفلسفية ، وتراجم مشاهير الفلاسفة بأسلوب سهل

وسيشرف على هذا العمل الأستاذ (أحمد أمين) — وستخرج السلسلة فى فترات متعاقبة — وستكون باكورتها :

قصة الفلسفة اليونانية

للأستاذين : أحمد أمين وزكى نجيب محمود

يقع الكتاب فى نحو ٣٦٠ صفحة ويبحث فى الفلسفة اليونانية من أول عهدها إلى آخر الأفلاطونية الحديثة ويعرضها فى شكل واضح جذاب أشبه ما يكون بالقصة — قد حلى بصور كثيرة لمشاهير الفلاسفة ومدارس الفلسفة

ظهر حديثاً (ويطلب من لجنة التأليف والمكاتب الشهيرة وثمنه ١٥ قرشاً خلاف أجرة البريد)